جامعة قاصدي مرباح – ورقلة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

بعنوان:

رحلة ابن جبير

دراسة سردية

مذكرة مقدم لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي القديم.

إعداد الطالبة:

✓ سمية شاشة

إشراف الدكتورة:

* أحلام معمري

السنة الجامعية :١٤٣٨-١٤٣٩هـ /٢٠١٧- ٢٠١٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان :

قال الله تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم"

أولا وقبل كل شيء نحمد الله الكريم العزيز على منه وكرمه لإتمام هذا العمل وانجازه على هذا الوجه فله كل الفضل والشكر على ذلك.

فلا يسعني وقد أنهيت هذا البحث بعون الله وتوفيق منه إلا أن أنسب الفضل لأصحابه، فأخص بالذكر الدكتورة المشرفة "**أحلام معمري**" التي منحتني الكثير من وقتها ولم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة فلها جزيل الشكر والعرفان بالجميل على تحملها وصبرها طيلة انجاز هذا العمل فألف ألف شكر.

كما أتقدم بجزيل الشكر لكل من علمني حرفا .....أساتذتي الأفاضل.

وأتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل المتواضع .

آمل أن تكون هذه المذكرة بادرة علمية لكل باحث في هذا الميدان، آملة أن يجعل منه فائدة وخير.

تحياتي بالشكر والتقدير لكم.

سمية

مقدمة

الحمد لله الذي شرف اللغة العربية على سائر اللغات تشريف المرسل بها على جميع الأنبياء والرسالات، والصلاة والسلام على أشرف البشرية أجمعين.

لقد عرف المسلمون برحلاتهم المبكرة وتدوينها منذ القدم، فتركوا تراثاً ضخماً من أدب الرحلات المختلفة، فانفتح العالم الإسلاميّ على ثقافات أخرى، ورغم اختلاف الأهداف بين الرحالة، إلا أن الهدف المشترك بينهم هو طلب العلم والمعرفة واكتشاف ثقافات شعوب أخرى، فاهتموا بأدب الرحلات اهتماماً كبيراً، حتى أصبح تراكماً ثقافياً ومعرفياً عبر العصور.

وقد تطور الخطاب الرحلي عبر العصور نظراً لما يزخر به من ثراءٍ فكري وأدبي أصيل تتواجد فيه العديد من المستويات الفكرية والعلمية والمعرفية، فهو يسعى للكشف عن الأشياء غير المألوفة ونقلها إلى المتلقي.

تعتبر الرحلة كَما عَرّفها الأدباء، انتقالا من مكان إلى مكان مرتبطة بزمن معين، يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده، إلا أن القليل منهم الذين دونوا أحداث رحلتهم التي صادفتهم ووصفوا الأماكن التي مروا بها، وذلك لشعورهم أنهم اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم، فرغبوا في تخليده حتى يعرفوا من لم يزر تلك الأماكن بها ثقافة أو أدب تلك المدن.

كانت بيئة الأندلس مركزاً حضارياً وثقافياً، حافلاً بمختلف الانجازات الثقافية والعلمية والأدبية،إذ كان الأندلسيون أكثر عناية بالرحلة والتنقل عبر البلدان ،لذلك كان اختياري لنص أندلسي لعلي أقف على الخصائص المهمة التي يتفرّد بها هذا النص عن بقية النصوص الرحلية الأخرى فحصرت بحثي في دراسة عن رحالة أندلسي، وهو "**ابن جبير**" الذي يعتبر من أشهر الرحالة المسلمين الذين قاموا برحلاتهم إلى المشرق العربي، فكان عنوان المذكرة:" **رحلة ابن جبير دراسة سرديه**"

،والتي سماها تذكار بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار،والتي عرفت بعد ذلك برحلة ابن جبير، فسرد لنا من خلالها تفاصيل رحلته ذهابا وإيابا.

وقد حاولتُ من خلال هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية محورية هي:

- ماهو النظام السردي الذي اتبعه ابن جبير في رحلته؟

وانبثقت عن هذه الإشكالية إشكاليات فرعية أخرى التي تصب كلها في الإجابة عن الإشكالية الرئيسية وهي :

- كيف وظف ابن جبير تقنيات السرد في رحلته؟
- ما الخصائص الفنية التي تميز رحلة ابن جبير؟

من خلال اطلاعي على بعض الكتب المتعلقة بأدب الرحلة استطعت أن أصل إلى بعض الفرضيات وهي :

- إنّ خطاب الرحلة خطابٌ سرديّ بالدرجة الأولى.
- مكونات السرد الرحلي مختلفة عن باقي الخطابات الأدبية الأخرى مما جعل سردية الخطاب الرحليّ محط استفهام ..
- اختلاف الجانب الفني والجمالي في النص الرحلي عن باقي الأنواع الأدبية الأخرى.

أما عن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فهناك دوافع ذاتية وموضوعية، فالدافع الذاتي يتمثل في ميلي إلى البحث في هذا النوع الأدبي من أدب الرحلات. أما الدوافع الموضوعية فتكمن في أهمية النصوص الرحلية وثراءها ومحاولة التطلع على ثقافات الأمم الأخرى، من خلال الخصائص التي ينفرد بها هذا النص عن بقية النصوص الأخرى.

والهدف من هذا البحث، هو محاولة إثبات قيمة النص الرحلي وإبراز جمالياته السردية، ومعرفة الخصائص التي يتميز بها عن غيره .

وبناء على ذلك،اعتمدت في هذا البحث على خطة، مقسمة إلى مقدمة وتمهيد عرفت فيه أدب الرحلة وصاحب الرحلة، وقسمت البحث إلى فصلين، فكان الفصل الأول المعنون بتيمات الخطاب الرحلي وعناصره، تناولت فيه تعريف الرحلة لغةً واصطلاحاً ثم دوافع وأسباب الترحال المختلقة أهم أنواع الرحلة، مكونات الخطاب الرحلي، وأخيرا خصائص الكتابة الرحلية .

أما الفصل الثاني المعنون بالدراسة الفنية للرحلة، تناولت فيه، البناء الفني للرحلة من ناحية الشكل ثم المضمون، والقيمة الأدبية والعلمية للرحلة، والنظام السردي في رحلة ابن جبير، الذي يتفرع من هذا العنوان، الخطاطة السردية في الخطاب الرحلي، والتدوين الزمني والمكاني للرحلة. وخاتمة حوصلت بها بحثي بأهم النتائج.

أما عن المنهج الذي اتبعته في الدراسة فكان نابعاً من طبيعة مادة البحث، حيث اعتمدت على المنهج البنيوي، لأنه الأقرب لدراستي، الذي يعتمد على تحليل النص ومكونات الخطاب الرحلي القصصي، كما استعنت بأدوات الوصف والتحليل في تحليل الظواهر المختلفة في الرحلة وتفسيرها .

فقد وجدت بعض الدراسات التي ساعدتني في إثراء هذا البحث بالمعارف الضرورية والمتنوعة التي تصب في صلب الموضوع وهي:

- أمين الريحاني، أدبية الخطاب في رحلة " نور الأندلس".
- أحمد عبد الرازق خليل، جمالية المكان في رحلة ابن جبير الأندلسي.

واعتمدت على مجموعة من المراجع المختلفة، أهمها:

- أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل.
- الرحلة في الأدب العربي نهاية ق ٤ هجري ناصر الموافي.
- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات.

وقد لاقت دراستي الكثير من الصعوبات، والتي تتجلى في كثرة المراجع المتنوعة التي تناولت الرحلة، ما أدى إلى تشتت الأفكار وعدم التحكم فيها، وكذلك صعوبة تحديد المنهج وتوظيفه كونه نصا متنوع تتداخل فيه مجموعة من الخطابات.ورغم الصعوبات التي واجهتني واعترضت طريقي في هذه الدراسة، إلا أنني بفضل الله تعالى استطعت أن أشق طريقي نحو هذا الإنجاز .

وفي الأخير أوجه شكري الخالص وامتناني العميق إلى الدكتورة المشرفة "**أحلام معمري**"على ما قدمته لي من يد العون لإنجاز هذا البحث ،فلم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة لإثراء موضوع البحث، كما أشكر الدكتور "**أحمد حاجي**" الذي زودني ببعض المراجع والنصائح التي أضاءت هذا البحث. كما أتقدم بشكري الخالص لأعضاء اللجنة الموقرة على قبولهم قراءة البحث وتقويمه، وإفادتي بملاحظتهم العلمية القيمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

تقرت: يوم الأحد ٢٠١٨/٠٣/٠٤م.

الموافق ل: ١٦ جمادى الثاني ١٤٣٩هـ.

الطالبة: سمية شاشة.

تمهيد

يعتبر أدب الرحلات فن من الفنون النثرية في الأدب العربي،إذ يمثل مصدراً مهماً ومنبعاً ثرياً لمختلف العلوم. حيث يعتمد على سرد الأحداث ووصفها ،فيكون الشخصية الرئيسية في الرحلة هو الرحالة نفسه الذي قام بهذه الرحلة، حيث اخترت في دارسة هذا البحث رحالة أندلسي "**ابن جبير**" في رحلته "**تذكرة بالإخبار في اتفاقيات الأسفار**" والتي أصبحت مؤخرا تسمى "**برحلة ابن جبير**.

وأعرف في هذه الأسطر بصاحب الرحلة ،هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أصل أسرته من بلدة شطابة هناك، ولد ببلنسية سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م واعتنى أباه بتربيته، فدرس العلوم الدينية واللغوية،[١] فهو من أشهر الرحالة الأندلسيون في القرن السادس الهجري، قام بثلاث رحلات كانت جميعها بغرض الحج إلى بيت الله الحرام، وهو لا يعود بعد أدائه لفريضة الحج مباشرةً إلى بيته، وإنما يزور بعض البلدان العربية الإسلامية ويتعرف عليها، وقد حظيت رحلاته باهتمام المؤرخين العلماء، رغم أنه لم يدون غير رحلته الأولى فقط. حيث بدأ رحلته وهو في الأربعين من عمره، وكان معه جده القاضي ابن عطية وصديقاه أبو جعفر الطيب واحمد بن حسان يوم الخميس الثامن من شوال سنة ٥٧٨هـ الموافق ٣ من فبراير سنة ١١٨٣م.[٢]

يعتبر "**ابن جبير**" الأندلسي رائد من رواد أدب الرحلات، الذي قام بالرحلة ليحج بيت الله الحرام و تكفير عن الذنب الذي اقترفه، وهو شربه للخمر الذي أسر عليه حاكم غرناطة ،فأقسم أن يشرب سبعه كؤوس، فاضطر ابن جبير أن يشرب على مضض كأسا بعد كأس، وسر الأمير وأخذ يقهقه معبرا عن فرحه بسلطته وسعادته بطاعة الجميع له، أدرك الأمير سخط ابن جبير فأراد أن يطيب

[١] ينظر: شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ص ٧٠.

[٢] ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١-٢، ٢٠٠٢، ص ٣٨٤-٣٨٦.

خاطره فملأ له الكأس الذي شرب منه دنانير وأفرغها في حجره،فقرر ابن جبير أن يحج بتلك الدنانير كفارة لشربه[1].

حيث تعد هذه الرحلة دليل القارئ في معرفة البلدان وتوضيح مناسك الحج وكيفية إتباع المراحل للقيام بهذه الفريضة على أكمل وجه.

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص٣٨٥.

الفصل الأول:تيمات الخطاب الرحلي

- ✓ تعريف الرحلة.
- ✓ أنواع الرحلة.
- ✓ خصائص الكتابة الرحلية.
- ✓ دوافع الترحال المختلفة.
- ✓ مكونات الخطاب الرحلي.
- ✓ عناصر الخطاب الرحلي.

الفصل الأول : تيمات الخطاب الرحلي

لقد عرف العرب الأوائل برحلاتهم، التي جالوا من خلالها العالم في جميع الاتجاهات، ومعظم الأماكن المختلفة، إذ يعتبر أدب الرحلات نوع من أنواع الأدب القديم، فكان الرحالة يسافر لاكتشاف أراض جديدة لم تكن معروفة في السابق. وكذلك أخد أدبهم وعلمهم وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي نقلت إلينا، ولكن قبل الغوص في أغوار هذا البحث يجب أولاً أن نُعرف الرحلة لغوياً واصطلاحاً :

أ/تعريف الرحلة لغة:

لسان العرب:الرحل مركب لبعير والناقة،و جمعه رحال،وهو من مراكب الرجال دون النساء، والرحل هو منزل الرجل وما يصطحبه من أثاث، والرحل بمعني رحل البعير، وارتحل فلان فلانا أي علا ظهره و ركبه[1].

معجم الوسيط: "رحل بمعني رحل عن المكان، رحلا ورحيلا، ورحلة سار ومضى، ورحل البعير رحلا، ورحلة جعل عليه الرحل، وهو مسكن الإنسان وما يصطحبه من أثاث .[2]

وفي **مختار الصحاح** نجد "الرَحلُ مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث، والرحل أيضا رَحَلَ البعير وهو اصغر من القتب، وجمع الرحال وثلاثة أرحل، ورَحَلَ البعير شد على ظهره الرِحلة وبابه القطع. و(رَحَلَ) فلان و(ارْتَحَلَ) و(تَرَحَلَ) بعنى رحل والاسم (الرحيل)، والرحلة بالكسر الارتحال، يقال دنت رحلتنا، و(أرحله)أعطاه

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة رحل، دار الصادرة لنشر و الطباعة بيروت، ط٣، ٢٠١٠، ص ٢٢٠
[2] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية،٢٠٠٤، ص ٣٣١

راحلة، والراحلة الناقة التي تصلح لأن ترحل وقيل الراحلة المركب من الإبل ذكرا أو أنثى".[1]

من خلال معجم المختار الصحاح ومعجم الوسيط ولسان العرب أجد أنهم يتفقون في معنى واحد للرحلة وهو مغادرة المكان أي الحركة من مكان إلى آخر، إذ ارتبطت الرحلة بالبعير وهي الوسيلة التي كانوا يستعملونها قديما في التنقل، وقد أشار القرآن الكريم إلى رحلتي الشتاء والصيف، التي كانت قريش تقوم بها من أجل التجارة **(لإيلاف قريش، ايلافيهم رحلة الشتاءِ والصيف)**[2]

ب/التعريف الاصطلاحي لأدب الرحلة: لأدب الرحلة عدة تعريفات وهي:

عرفت الرحلة في"**معجم المصطلحات الأدبية**" بأنها من الآثار الأدبية التي يسعي الرحالة إلى نقل وتسجيل كل ما صادفه من عادات وسلوك وأخلاق بلد ما.

أما "**ناصر الموافي**" فيعرف أدب الرحلة على أنه: ذلك النثر الذي يصف الرحلة، أو رحلاته الواقعية،التي قام بها رحالة متميز، موازناً بين الذات والموضوع من خلال المضمون والشكل المرنين بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه[3].

حيث نجد أن "**ناصر الموافي**" قسم الرحلة إلى خطاب فني ونثري، الذي يحكي فيه عن أحداث رحلة ما واقعية وذلك بغرض إفادة القارئ.

---

[1] الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مادة ر ح ل، ط١ مكتبة العصرية للطباعة والنشر، باب الراء(رجا) ص ١٠٠.

[2] سورة قريش ، الآية ٠١-٠٢.

[3] ينظر: نصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتي نهاية القرن الرابع هجري، ط ١، دار النشر للجامعات المصرية-مكتبة الوفاء- ص ٣٩.

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن أساس الرحلة يكمن في الحركة والانتقال، وهذه الحركة تهدف إلى اكتساب خبرات علمية و فكرية من خلال احتكاكه بآخر.

أهم أنواع الرحلة:

لقد عرف العرب أنواعاً كثيرة من الرحلات المختلفة، فتختلفوا في تصنيفها، حيث يمكن التركيز على أهم الأنواع وهي[1]:

١/الرحلات الدينية: ويقصد بها أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وتطهير النفس من ملذات الدنيا وشهواتها ، فهذه من أهم الأهداف التي دفعت المسلمين إلى الرحلة.

٢/ الرحلات العلمية: وهي الرغبة في طلب العلم والتعلم، من منابعه الأصلية وأخذ المعرفة من الشيوخ والعلماء الكبار، فنجد ذلك في مقدمة "**ابن خلدون**" الشهيرة إذ يقول:" والرحلة لابد منها لطلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ وأخذ العلم منهم."[2]

٣/ الرحلات التجارية: جاءت الرحلات التجارية برا وبحرا من أجل الربح ، ومحاولة تأمين الحياة ، وذلك من خلال اختيار موقع تجاري هام التي تنشط فيه التجارة ، فأثناء عودتهم إلى وطنهم يقومون بسرد الحكايات والأحاديث في أسلوب شيق لما صادفوه أثناء رحلتهم.

---

[1] ينظر: جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، إشراف أمحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٤-٢٠١٥، ص٢٦.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، ط١، خزانة بن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء،المغرب، ٢٠٠٥،ص ٢٢٦.

٤/ الرحلات السياحية: وهي محاولة اكتشاف مواطن الجمال في مختلف البلدان والبحث عن الحرية والراحة والترويح عن النفس من خلال زيارة بعض الأماكن الغير مألوفة.

٥/ الرحلات الرسمية: يبعث الرحالة إلى دول مجاورة لها علاقة مع بعضها البعض قصد هدف معين،مثل" تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التجسس أو الاطلاع."[١] فعند عودة الرحالة يكتبون مغامرات هذه المهمة وكيف أنجزت. وقد يكون هدف هذه الرحلة أيضا هو الصلح بين دول مختلفة وفك الأسري.

إذ تعتبر رحلة "**ابن جبير**" من الرحلات الدينية، كونها رحلة قام بها صاحبها من أجل أداء شعائر فريضة الحج. حيث يعتبر الحج من أهم الأسباب التي شجعت المسلمين على الرحلة والتوجه إلى المشرق الإسلامي، فلم يفكروا في المسافة التي تفصل بين المشرق والمغرب، فكان الشوق والحنين إلى الحج وزيارة البقاع المقدسة من بين الأسباب التي دفعت المسلمين إلى الرحلة، فيقول الله تعالى:**{وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.}**[٢]

[١] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف الشريف مريبعي جامعة الجزائر، ٢٠٠٦-٢٠٠٧، ص ٢٠.

[٢] سورة الحج، الآية ٢٧.

خصائص الكتابة الرحلية:

تتميز الكتابة الرحلية بمجموعة من الخصائص التي تجعلها جنسا منفردا عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى، وهي[١]:

١/الذاتية: وهو ذات الرحالة نفسه، حيث يسرد لنا أحداث الرحلة التي قام بها، وعاش كل تفاصيلها الدقيقة.

فإذا تتبعنا حضور الذات في رحلة "**ابن جبير**" فإننا نجدها حاضرة بشكل واضح من خلال الضمير المتكلم الجمع، فيقول في رحلته:"**يسر الله علينا في عبور البحر**"[٢] وقوله أيضاً: **وأصبحنا يوم السبت وبيننا وبينه مسافة بعيدة، وظهر لنا إذ ذاك الجبل.....**"[٣]، وقوله: **فكان نزولنا في أحد الفنادق، وأقمنا بها تسعة أيام، فلما كان ليلة الثلاثاء الثاني عشر للشهر المبارك المذكور، ركبنا في زورق متوجهين إلى المدينة.....**[٤] فذاتيته حاضرة ومتحكمة في جميع خيوط الرحلة من بدايتها إلى نهايتها.

٢/هيمنة بنية السفر:ويقصد بها السفر في ذاته، فالرحالة قام بفعل المغادرة والسفر لمختلف الأماكن [٥].

٣/ الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا:وهو أن يستعمل الرحالة الضمير المتكلم في رحلته كونه سرد الرحلة بنفسه.حيث اعتمد "**ابن جبير**" على ضمير الجمع في رحلته، ونجد ذلك في قوله: "**ومن العجيب ما عرض علينا بباب بني شيبة المذكور**

[١] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي،ص١٩

[٢] ابن جبير، رحلة ابن جبير،سلسلة الأنيس للطباعة و النشر، ط١، سنة ٢٠١٠، ص ٢

[٣] الرحلة، ص ٥.

[٤] الرحلة، ص ٣٠٢.

[٥] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي،ص١٩

عتب من الحجارة.....ذكر لنا أنها الأصنام التي كانت قريش تعبدها.[1] وقوله أيضاً: .... **صعدنا إلى منى لمشاهدة المناسك المعظمة بها ولمعانيها منزل اكُتري لنا فيها إعدادا لمقام بها أيام التشريق، إن شاء الله، فألفيناها تملأ النفوس بهجة**".[2]

يوحي ضمير المتكلم الجمع إلى أن "**ابن جبير**" فعلاً شخصية اجتماعية نابعة من عمق المجتمع، فهو لا يرى نفسه إلا مع الجماعة.

ونجده أيضاً استعمل الضمير المتكلم المفرد في قوله: "**ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموفي لشهر شوال ....**[3]" يمكن "**ابن جبير**" استعمل الضمير الفردي رغبة في إبراز التميز والانفراد.

٤/الواقعية: يتميز أدب الرحلة بالواقعية، حيث كتبت الرحلة وأنجزت من طرف شخص معروف زمنيا ومكانيا،عاش غمار هذه الرحلة[4].

رحلة ابن جبير رحلة واقعية، قام بها صاحبها بنفسه فذكر لنا زمانها ومكانها ، حيث وصف لنا "**ابن جبير**" الأماكن والشخصيات التي صادفها أثناء رحلته وصفا دقيقا. فنجد هذه الواقعية في وصفه المسجد الحرام فيقول:" **وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنها الرخام حسنا، منها سود وسمر وبيض قد ألصق بعضها إلى بعض، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خطا إلا في الجهة التي تقابل المقام، .....**[5]" وقوله أيضاً في وصف منشأ الإسلام"**وهي بإزراء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن اليمين الداخل إليها كان مسكن بلال، رضي الله عنه،و يدخل إليها**

[1] الرحلة،ص ٨٣.

[2] الرحلة، ص ١٢٩.

[3] الرحلة، ص ١.

[4] جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي،ص١٩

[5] الرحلة، ص ٥٦.

على حلق كبير شبيه الفندق قد أحدقت به بيوت للكراء من الحاج. والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل إلى الحلق المذكور أثره الكريم في هذا المكتوب،....."[1] فهذه الواقعية التي تتميز بها الرحلة عن الأعمال السردية الأخرى التي بنيت علي الخيال.

٥/دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق: وهنا يكمن دور السارد حيث يسرد لنا أحداث رحلته من بدايتها إلى نهايتها،أي من لحظة خروجه إلى وصوله إلى المكان المقصود، والعودة من جديد.

فكان "**ابن جبير**" حريصاً على تدوين رحلاته وكل ما جاء فيها من أوصاف ومعلومات حول البلدان التي مر بها منذ انطلاقه من بلاده حتى رجوعه من سفره، حيث يبدأ رحلته بقوله: "**وكانت مرحلتنا الأولى منها إلى حصن القَبْذَاق، ثم منه إلى حصن قبرة، ثم منه إلى مدينة إِسْتِجة، ثم منها إلى حصن أُشُونَة، ثم منه إلى شَلّبَر، ثم منه إلى حصن أَرْكُش، ثم منه إلى قرية تُعْرَف بقرية القمشة من قرى مدينة ابن السليم...**"[2]. وقوله أيضاً " **ثم إنا أقلعنا منه ظهر يوم الأحد السادس عشر من الشهر المذكور، وفي مدّة مقامنا بالمرسى المذكور جددنا فيه الماء والحطب والزاد.** " حيث كان يسجل كل بلد أو مكان مر به أو توقف عندها ويصف أخبارها وكل ما فيها. ووصوله إلى مكان المقصود بعد سفر دام ثلاثين يوماً فيقول في ذلك: " **وفي صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور، أطلع الله علينا البشرى بالسلامة بظهور منارة الإسكندرية على نحو العشرين ميلا، والحمد لله على ذلك حمدا يقتضي المزيد من فضله وكريم الصنعة.**"[3]

---

[1] الرحلة، ص ١٣٩.

[2] الرحلة، ص ١.

[3] الرحلة، ص ٦.

وفي خطاب عودته: "**وفي ضحوة يوم الثلاثاء الثالث عشر منه أقلعنا على اليمن والبركة بريح شرقية لينة المهب لها نفس خافت، ..... ثم أقلعنا منها اثر صلاة الجمعة السادس عشر منه فبتنا في فحص قرطاجنة بالبرج المعروف برج الثلاثة صهاريج.**"[١]

٦/تعدد المضامين وتدخل الخطابات: للخطاب الرحلي معارف مختلفة، مثل معارف دينية مثل ذكره للمساجد فيقول في رحلته:" **وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبي عباس أحمد بن طولون،وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان.....**[٢]، وجغرافية مثل قوله:" **ومنها مدينة أسيوط،وهي من مدن الصعيد الشهيرة، بينها و بين الشط الغربي من النيل مقدار ثلاثة أميال...**"[٣] وتاريخية، حيث تتداخل فيه مجموعة من الخطابات مثل الشعر، والرسالة، والحكاية، والوصف، والسرد وهذا ما يجعله جنساً من الأجناس الأدبية.

نجد في رحلة "**ابن جبير**" تعدد في المضامين حيث تحتوى على معلومات اقتصادية وبشرية وتاريخية والسياسية، إذ تُعدُ هذه الرحلة دليل للحج ومناسكه،كما أنها دليل سياحي أيضاً مهم، وذلك من خلال وصفه للبلدان بكل دقة وذكر الحالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والعادات والتقاليد.

كما تبين الرحلة دورها في وصف الطريق جغرافياً وتاريخياً وحضارياً، يضاعف من أهمية هذه المعلومات إن معظمها مما أهمله تاريخ المناطق التي تصفها الرحلات.[٤]حيث يصف "**ابن جبير**" في هذه الرحلة مدينة "**قنا**" فيقول:" **ومنها مدينة**

---

[١] الرحلة، ص ٣٢٢.
[٢] الرحلة، ص٢٠.
[٣] الرحلة، ص٢٩.
[٤] محمد المنوني ،مقالة في مجلة المناهل المغربية –الرحلات المغربية الحجازية– العدد٥١٨، مجلد ٥٦، المغرب، اغسطس١٩٩٤، ص١٦.

قنا، وهي مدن الصعيد بيضاء أنيقة المنظر ذات مبان حفيلة، ومن مآثرها المأثورة صون النساء أهله والتزامهن البيوت، فلا تظهر في الزقاق من أزقتها امرأة البتة ...."[1]

كذلك نجد قوله في وصف الآثار " **وبهذه المدينة المذكورة آثار مصانع من بنيان القبط وكنائس معمورة..... ومن أعظم الهياكل المحدث بغرائبها في الدنيا، هيكل عظمي في شرقي المدينة المذكورة وتحت سورها طوله مائتا ذراع وعشرون ذراعاً، وسعته مائة وستون ذراعاً، يعرف عند أهل هذه الجهة بالبربا ...**"[2] فأدب الرحلة في بدء الأمر ومنتهاه هو محاولة لاكتشاف سر الأشياء والتعرف على تكوينها الذي يبدو أحيانا ككتل الجليد العائمة في المحيطات والبحار، لا يظهر منها سوى العشرة وتبقي الأعشار الأخرى مغيبة تحت الماء.[3]

كذلك نجده تكلم على الجانب الديني فيقول:" **وهذه الفرق من السودان المذكورين فرق أضل من الأنعام سبيلا وأقل مقولاً، لا دين لهم سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهاراً لإسلام وراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة وسيرهم مالا يرضى ونساؤهم يتصرفون عراةً إلا خرقاً يسترون بها عوراتهم .... وبالجملة فهم أمةً لا خلاق لهم ولا جناح على لا عنهم.**"[4]

دوافع وأسباب الترحال المختلفة:

لقد أدت الرحلة دورا كبيراً في تطوير معارف الحضارة الإنسانية، وكسب خبرات مختلفة، فالإنسان لم يرض بالاستقرار والثبات، فدفعه شغفه إلى استكشاف العالم

[1] الرحلة، ص ٣٣.

[2] الرحلة، ص ٢٩.

[3] ينظر:عماد الدين خليل، من أدب الرحلات، دار الكثير، ط١، ٢٠٠٥، ص ٦.

[4] الرحلة، ص ٤١.

المحيط به، وإلى معرفة الآخر، وحب المغامرة وراء المجهول. وهذه الرحلات تكون استجابة مباشرة لحوافز ودوافع معينة، تدعو الرحالة بكل شغف إلى الحركة والتنقل من مكان إلى آخر، ويمكن حصر هذه الدوافع في:

١/دوافع دينية: وهى رحلة يقوم بها الرحالة إلى الحج حيث يزور الأماكن المقدسة، وقبر الرسول صل الله عليه وسلم والأولياء الصالحين، بغية تطهير النفس من الذنوب والتوبة [١].

٢/دوافع علمية أو تعلمية: بزيارة الأماكن المعروفة والمشهورة بالعلم والمعرفة يكتسب الرحالة معرف جديدة من خلال أخدها من منابعها الأصلية دون تحريف فيها ، حيث كان الرحالة يسافرون برا و بحرا غير آبهين بمخاطر ومشاق السفر وذلك من أجل العلم.

٣/ دوافع سياسية: وهو أن يبعث حكم دولة ما إلى حكم دولة أخرى، قصد تبادل الآراء فيما بينهم والوصول إلى حل جدري ، فكان هدفها سلمي من خلال مناقشة الأمور فيما بينهم للوصول إلى السلام.

٤/دوافع سياحية وثقافية: فهدف الرحالة من هذه الرحلة هو تغير الأجواء والتعرف على الأماكن الجديدة التي لم يزرها، فيسجل موقعها وآثارها وكل ما صدفه قصد إفادة القارئ بها أو عالم جغرافي وتاريخي . [٢]

٥/دوافع اقتصادية: ينتقل الرحالة إلى البلدان المختلفة من أجل التجارة وطلب الرزق والبحث عن مكان استراتيجي الذي تنشط فيه التجارة للكسب السريع.

---

[١] ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط٢،١، سنة٢٠٠٢، ص١٩

[٢] المرجع نفسه ،ص ٢٠.

٦/دوافع صحية: وهو السفر للعلاج أو إراحة النفس من التعب والعناء ويكون هرباً من وباء أو طاعون أو تلوث.

نجد في بعض الكتب أن دافع رحلة "**ابن جبير**" ليس زيارة البقاع المقدسة وحب الاطلاع والمعرفة بزيارته إلى بعض الأماكن الأخرى فقط، وإنما لرحلته سبب قوي آخر، وهو أن صاحب مدينة غرناطة أمير الموحدين استدعى "**ابن جبير**" يوماً ليؤلف كتاباً، وهو في مجلس شرابه، وحدث أن دفع إليه الأمير كأساً، فأظهر "**ابن جبير**" الانقباض، وقال: يا سيدي ما شربتها قط، فقال: والله لتشربن منها سبعاً، فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس، فملأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات، وصب ذلك في حجره، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج.[١]

فباع بعض عقاراته وأضاف ثمنه إلى عطية الأمير، وما هي إلا أيام حتى استأذن من الأمير في الحج، ولكي لا يحول دون سفره، أبلغه أنه أقسم قسماً لا رجعةَ فيه أن يحج في تلك السنة فأذن له.

كانت للرحلة دافع مهم وهو الحج إلى بيت الله وتكفير من الذنب الذي ارتكبه ابن جبير، حيث أصبحت هذه الرحلة من الرحالات المهمة على الفرد والجماعة، لأن من خلالها نتعرف على شعوب أخرى ، فيقول الله تعالى:

{ يا أيّها النّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} . [٢]

[١] ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي ، ص٣٨٥.

[٢] سورة الحجرات الآية ١٣.

مكونات الخطاب الرحلي:

إن أدب الرحلة ينقل لنا الواقع ويصف المشاهد الذي شاهدها من خلال رحلة قام بها الرحالة، الذي يكون متمكناً من لغته ومتميزاً بأسلوبه وسعة خياله، ومن مكونات الخطاب الرحلي نجد:

١/ **أطراف الرحلة:** للرحلة ثلاثة أطراف وهي: الحاكي نفسه، ونص الحكاية ، والموضوع .

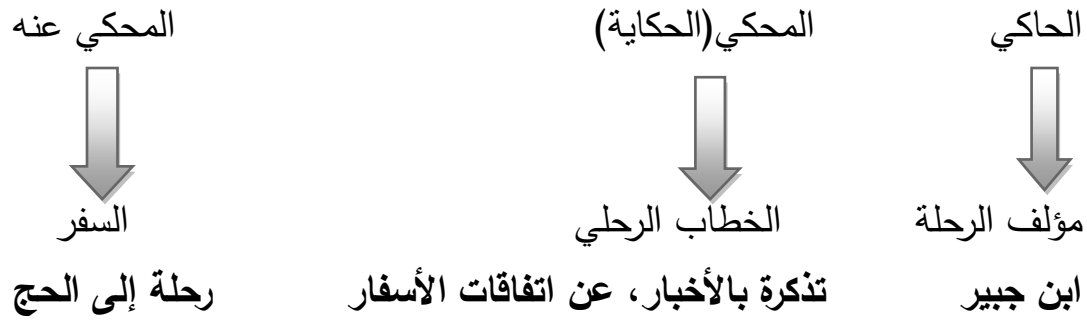

ا/**الحاكي:** هو الرحالة نفسه الذي قام بالرحلة ودونها ،من خلال سرده لكل تفاصيلها الدقيقة. حيث نجد في هذه الرحلة الحاكي هو "**ابن جبير**" نفسه، الذي سرد لنا رحلته بكل تفاصيلها، ووصف المشاهد والمدن التي زارها ومر بها، وصفاً دقيقاً، كونه قام بفعل الرحلة بنفسه فمن الطبيعي أن يسرد لنا كل ما شاهده في هذه الرحلة.

ب/ **المحكي عنه:** وهو الرحلة أو السفر الذي أنجزه الرحالة بنفسه، حيث سافر "**ابن جبير**" لأداء فريضة الحج، فنقل لنا صورة حية وصادقة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق العربي وعن عادات السكان وتقاليدهم إذ تعتبر هذه الرحلة دليلاً القارئ في معرفة البلدان المجهولة، مع توضيح مناسك الحج والعمرة، بالإضافة

إلى القيمة التي تحملها، وتفيد الأديب والباحث في الجغرافيا، والتاريخ، والحركة السياسية، والدينية، والاقتصادية[1].

ج/المحكي أو الحكاية: وهو نص الرحلة، فكل نص له طريقته الخاصة في البناء، التي يتميز بها عن غيره من الخطابات، فالرحالة يبتدئ بتحديد أسباب الرحلة ودوافعها، وزمن خروجه من بلده ومكان تواجده، فكان لابن جبير طريقته الخاصة في بناء هذه الرحلة.

كانت رحلة "**ابن جبير**" تسمي قديماً "**بتذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**"، ثم أطلق عليها في عصرنا الحديث برحلة "**ابن جبير**"، التي سافر صاحبها من أجل أداء فريضة الحج، والتكفير عن ذنوبه، والاطلاع على ثقافات أمم أخرى، وزيارة بعض الأماكن الأخرى فاعتمد طريقة خاصة في كتابة رحلته، فسجل بكل دقة التتابع الزمني أيام الأسبوع والأشهر العربية والإفرنجية في كل بلد أو مكان توقف فيه أو مر به، فاهتم به منذ لحظة خروجه حتى عودته، حيث كتب رحلته على شكل مذكرات يومية، ولم تكن في شكل كتاب بل كانت أوراقاً منفصلة[2]. فكانت الرحلة في غاية الأهمية لأنها الرحلة المدونة الأولى التي وصف صاحبها طريق الحج مفصلاً، وصور عادات وتقاليد البلاد التي مر بها.

[1] ينظر:حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، علم المعرفة،العدد١٣٨ ،كويت، ١٩٧٨ ص١٣.

[2] ينظر: دميش دليلة، أدب الرحلات ودوره في تواصل بين الحضارات، مذكرة لنيل شهادة ماستر، إشراف بغداد عبد الرحمان، مخطوطة، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان– ٢٠٠٥/٢٠١٦، ص ٣٠.

٢/عناصر الخطاب الرحلي:

من خلال مكونات الخطاب الرحلى يمكن حصر عناصره في:

ا/ **المعرفة:** في الخطاب الرحلي تتنوع المعارف منها: دينية، وتاريخية، وجغرافية، وأدبية، واجتماعية وغير ذلك، مما يجعلها مادة هامة للعديد من الباحثين، التي يسعي إليها الرحالة لإفادة القارئ به.

فكانت رحلة "**ابن جبير**" حافلة بالمعارف المتنوعة، فهي تعتبر وثيقة بحث يسعى إلى تلبية مطالب الجغرافيين والأدباء، الذين يطمحون لمعاينة الوقائع وسبر أغوارهم، ومن المعارف الدينية في هذه الرحلة نجدها في قوله: " **من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر، وأخذ القراء أمامه في القراءة على كرسي موضوعة، فتوقوا وشوقوا، وأتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، واردا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والتكلم على معانيه،...**"[١]

وقوله أيضاً في ذلك:" **وفي هذا اليوم المذكور كان فراغنا من حفظ كتاب الله عز وجل، له الشكر على ما يسر لنا من ذلك.**[٢]" نجد في هذه الرحلة جانباً مهماً وهو الجانب الديني، الذي كان يضمنه في كلامه والاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مما يوحي لنا بتمتعه بالعاطفة الدينية .

ومن المعارف التاريخية نجد وقوفه على دار أم المؤمنين "**خديجة**" مولد فاطمة الزهراء والحسن والحسين رضي الله عنهم" **فمن مشاهدها التي عايناها قبة الوحي،**

[١] الرحلة، ص ١٩٢

[٢] الرحلة، ص ٣٦.

وهي في دار خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وبها كان أبناء النبي صلى الله عليه وسلم بها، وقبة صغيرة أيضا في الدار المذكور فيها كان مولد فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، وفيها أيضا ولدت سيدة شباب أهل الجنة: الحسن والحسين، رضي الله عنهما،... "[1]

والجغرافية عند "**ابن جبير**" تتمثل في وصف "**جزيرة مالطة**" فيقول:" **فارسينا يوم الاثنين المذكور بجزيرة تعرف بمالطة، وهي جزيرة غير معمورة، يقال: إنها كانت معمورة في القديم، وهي مقصد العدو،وبينها وبين البر المذكور نحو ثلاثين ميلا.**"[2]

ب/ السرد: يعتبر البنية المهمة في الكتابة الرحلية ، لأنها تسرد أحداثا واقعة، وأفعالاً قام بها السارد أو الرحالة، حيث نجد أن السرد يسير مع الرحلة من بدايتها إلى نهايتها.

ويظهر السرد بوضوح في رحلة "**ابن جبير**" في مواضيع عدة أهمها ما ذكره في حسن تعامل السلطان "**صلاح الدين الأيوبي**" معهم، فيقول:" **وكان يحافظ على جانب هذا السلطان العادل الذي قد شمل البلاد عدله وسار في الآفاق ذكره، ولا يسعي فيها يسئ الذكر بمن قد حسن الله ذكره، ويقبح المقالة في جانب من أجمل الله المقالة عنه.**"[3] وقوله أيضاً:" **... اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين، الذي قد ذكرنا سيرته ومناقبه، ولو كان له أعوان على الحق، مما أريد الله عز وجل يتلافى مسلمين بجميل نظره ولطيف صنعه.**"[4]

---

[1] الرحلة، ص ٨٤.

[2] الرحلة، ص ٣٢٠.

[3] الرحلة، ص ٣٢.

[4] الرحلة، ص ٤٩.

ج/الوصف:الوصف هو البنية الأساسية في الخطاب الرحلى، كونه يصف الرحالة كل المشاهد والأشياء التي مر بها أو رآها أثناء رحلته.

إن أدب الرحلة يتخذ الوصف عماده حيث ينقل لنا الواقع الحقيقي، إذ برع "**ابن جبير**" في وصف البلدان والشخصيات والعادات وتقاليد البلاد ، فوصف لنا عدد لنا خيرات الأندلس ومكة فيقول:"**وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات، فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد، حتى حللنا بهذه البلاد المباركة، فألفيناها تغص بالنعيم والفواكه: كالتين، العنب، والرمان، والسفرجل، والخوخ، والأترج، والجوز، والمقل، والبطيخ، والقثاء، والخيار، إلى جميع البقول كلها: كالباذنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر، والكرنب، إلى سائرها.**"[1]

ويستمر "**ابن جبير**" في وصف هذه الخيرات" **وأنواع اللبن بها في النهاية من الطيب، وكل ما يصنع منها من السمن، فانه لا تكاد تميزه من العسل طيبا ولذاذة**."[2]

كما وصف "**ابن جبير**" مكة المكرمة الذي وصفها بعروس ليلة العمر، وتحدث عن جمالها الباهر فقال:" **ودخلنا مكة، حرسها الله، .....وكان إسراؤنا تلك الليلة المذكورة، والبدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، والليل قد كشف عنا قناعه.....فهي عروس ليالي العمر ويكر بنيات الدهر. إلى أن وصلنا في**

[1] الرحلة، ص ٩٠.

[2] الرحلة، ص ٩١.

الساعة المذكورة من اليوم المذكور، حرم الله العظيم ومبوأ الخليل إبراهيم. فألفينا الكعبة الحرام عروسا مجلوة مزفوفة إلى جنة الرضوان محفوفة بوفود الرحمن"[1]

د/ الشعر: يعتمد العديد من الرحالة في كتاباتهم على توظيف الأشعار المختلفة، فتكون من إبداع الرحالة أو اقتبسها من شعراء آخرين ، فهو يسعى إلى إمتاع القارئ بهذا الخطاب الشعري ، وإلى رفع قيمة رحلته باحتوائها عدداً هائل من الأشعار التي توظف في مواضيع مختلفة. وتتماشي مع طبيعة بناء الرحلة حيث دعم "**ابن جبير**" رحلته بالشعر، فاستشهد بأشعار الغير، في قوله: " **.... ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجدا، .....وكان آخر ما انشده من ذلك، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام:**

أين فؤاد أذابهُ الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ

يا سعدُ زِدنِي جَوى بذكرهمُ بالله قُلْ لِي فَديتَ يا سعدُ[2]

كذلك نجده اقتبس بيتا من شعر أبي نواس الحسن بن هانئ في وصف مدينة نصيبين حيث يقول:

طابتْ نصِيبينِ لي يوماً فطبتُ لها يا ليتَ حَظي من الدنيَا نصيبين.[3]

وظف "**ابن جبير**" الشعر للتأثير في القارئ، ودعم رحلته، كذلك نظرا لمكانة الشعر التي يحتلها في الثقافة الغربية والعربية معا.

[1] الرحلة، ص ٥٧.

[2] الرحلة، ص ١٩٦.

[3] الرحلة، ص ٢١٢.

الخلاصة: للرحلة أنواع و خصائص تختص بها عن غيرها، فكانت رحلة ابن جبير من الرحلات الدينية، الذي سافر صاحبها من أجل تكفير عن ذنوبه ، فكتب كل ما شاهده بنفسه دون تحريف أو تغير فيها، حيث تعتبر من الرحلات الزاخرة بالمعارف المتنوعة ، منها دينية وسياسية واقتصادية.كما وصف مناسك الحج وبعض أماكن الأولياء الصلحين وقبر الرسول صل الله عليه وسلم.

الفصل الثاني:الدراسة الفنية للرحلة.

- ✓ بناء الرحلة شكلاً ومضموناً.
- ✓ القيمة الأدبية للرحلة.
- ✓ النظام السردي في رحلة ابن جبير.
- ✓ البناء الهيكلي للرحلة.
- ✓ الخطاطة السردية في الخطاب الرحلي.
- ✓ التدوين الزمني والمكاني للرحلة.

الفصل الثاني: الدراسة الفنية للرحلة.

١/ بناء الرحلة شكلا ومضمونا:

لكل رحالة أو كاتب تصور خاص للكتابة رحلته، ومحاولة إخراج هذا العمل الأدبي في صورة مميزة، فيسعى إلى تطبيق هذا التصور الذي يتحكم فيه الأسلوب طريقة التدوين.

تتميز الرحلة عن غيرها من الفنون الأدبية، بسمات وخصائص وملامح ذاتية، حيث تعتبر فنا سرديا، فتكشف لنا عن خصائص البناء الفني، والإبداع الأدبي، إذ تعتبر مصدراً تاريخياً لمعرفة أحوال بعض المجتمعات، ومصدراً جغرافياً واقتصادياً وتجارياً، لأنها تهتم بحياة الناس اليومية وعاداتهم وتقاليدهم، فالنص الرحلي عبارة عن وسيلة من خلالها ينقل الرحلة إلى الكتابة، وفق معايير فنية معينة[١].

بناء الرحلة من حيث الشكل :

إن معظم الرحالة يلتزمون في كتابة رحلاتهم بمحاور البناء الفني الأساسية وهي:

المقدمة: فهي بمثابة مفتاح **ال**رحلة، الذي يفتح ويمهد الفكرة للقارئ. حيث تبدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على الرسول صل الله عليه وسلم.

فكانت افتتاحية رحلة "**ابن جبير**" بالبسملة، وجعلها في سطر لوحدها ،ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ،فيقول "**ابن جبير**": "**بسم الله الرحمن الرحيم .اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم** "[٢]

---

[١] ينظر: ناصر الموافى، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع،دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط١، ١٩٩٥، ص ٦٠.

[٢] الرحلة، ص ١.

العرض: وهو يأتي بعد التمهيد، يوظف كل أساليب التعبير لإبراز الموضوع أو الهدف الذي من أجله كانت الرحلات، ووصف كل ما صادف من مشاهد مر بها الرحالة.

بدأ "**ابن جبير**" رحلته إلى الحج فسجل ملاحظاته في كل ما شاهده من مناظر مر بها، حيث نقل لنا "**ابن جبير**" صور صادقة عن المدن والمجتمعات الإسلامية في المشرق العربي من خلال رحلته فعرض لنا عاداتهم وتقاليدهم.

الخاتمة: يختم معظم الرحالة رحلاتهم بالحمد والصلاة على محمد وآله وصحبه ويحدد بعضهم الزمن الذي يستغرقه من لحظة الخروج إلى لحظة الإياب[1].

ختم "**ابن جبير**" رحلته بالحمد لله ،والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى كافة المرسلين، فيقول في ذلك :" **والحمد لله على الصنع الجميل الذي أولاه، والتسيير والتسهيل الذي والاه، وصلواته على سير المرسلين الأولين منهم والآخرين محمد رسوله الكريم ومصطفاه، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه، وشرف وكرم ،فكانت مدة مقامنا من لدن خروجنا من غرناطة إلى وقت إيابنا هذا عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصفا، والحمد لله رب العالمين.**"[2]

لقد اهتم "**ابن جبير**" بكتابة رحلته، بأسلوب وشكل جديد، فرتبها ترتيباً زمنياً لتكون نصا سرديا متماسكا مع بعضه البعض ،حيث وصف كل ما شاهده من المدن والمساجد والمعالم والأطعمة والمرافق العامة التي مر بها ووصفها وصفاً دقيقاً.

[1] ينظر:نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية– حتى نهاية القرن التاسع هجري– دار المأمون لنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٩٤.

[2] الرحلة ، ص ٣٢٢

فكانت الرحلة تشبه الرسائل من حيث بناءها فعادة الرسائل تفتتح بالبسملة، كما أنها مكتوبة على شكل مذكرات يومية، ولم تكن في شكل كتاب بل كانت أوراقاً منفصلة.

بناء الرحلة من حيث المضمون:

إن أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، وكل مضمون قابل للتدوين، فهو موضوع الحياة لأنه يتجدد في كل رحلة.حيث يتناول فيه الرحالة طابعاً موسوعياً ومعرفياً وطابع إنساني وجمالي ، فلا بد على الرحالة أن ينقل لنا معلوماته وتجاربه المختلفة.

لقد كان "**ابن جبير**" لغوياً وأديباً متمكناً من اللغة، فاللغة والألفاظ والمعاني لا بدأ أن تتناسق مع بعضها البعض " تكون الألفاظ موافقة للمعاني"[١].

فكانت ألفاظ "**ابن جبير**" في رحلته ألفاظاً دقيقة منسجمة مع بعضها البعض، من حيث التركيب، إضافة إلى تأثره بالقرآن الكريم ، ونجد ذلك في وصفه لجنائز أهل "**دمشق**" فيقول: " **وذلك أنهم يمشون أمام الجنائز بقراء يقرؤون القرآن بأصوات شجية تلاحين مبكية، تكاد تنخلع لها النفوس سجوا وحنانا، يرفعون أصواتهم بها فتتلقاها الآذان بأدمع الأجفان، وجنائزهم يصلى عليها في الجامع قبال المقصورة.....**".[٢]

أما عن الأسلوب فكان هناك تداخل بين الأساليب منها سردي والقصصي ووصفي ،حيث اعتمد "**ابن جبير**" على السرد المشوق، والاقتباس من القرآن الكريم، ، ونجد ذلك في وصفه لأهوال البحر عندما شارفت سفينتهم على الغرق فيقول:"....**فأخذت الرياح أحدها ومزقته وكسرت الخشبة التي تربط الشراع فيها،**

[١] احمد الهاشمي ،جواهر البلاغة ، ،دار الفكر، بيروت، ط١٢، ١٩٧٨ ، ص ٣٨٦.

[٢] الرحلة، ص ٢٦٨.

وهي المعرفة عندهم بالقرية، فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء إلى الله عز وجل ..."[1]

ولا ننس أيضاً استشهاده ببعض الأشعار مثل قول " قول "**الحارث بن مضاض الجرهمي**" :

كَأنْ لم يكُنْ بَين الحَجُونِ إلى الصّفا أنيسُ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامِرُ

بَلَى نحنُ كُنّا أهلَها فأبَادَنَا صُرُوفُ اللّيالي والجُدُودُ العَوَاثِرُ[2]

وقول الإمام جمل الدين إلى الفضائل بن على الجوزي:

الذي انشد أثناء مجلسه أشعار من النسيب مبرحة التشويق

أين الفؤاد أذابهُ الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ

يا سعدُ زِدني جوى بذكرهمُ بالله قُلْ لي فُديتَ يا سعدُ [3]

وفي أول مجلسه أنشد قصيد نير القبس عراقي النفس في الخليفة أوله:

في شُغْل منَ الغَرامِ شاغل مِن هاجَهُ البرقُ بسفحِ عاقِلِ[4]

يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يا كلماتِ الله كوني عُوذَة مِن العيون للإمام الكاملِ[5]

---

[1] الرحلة، ص ٤ .

[2] الرحلة، ص ٨٠.

[3] الرحلة، ص ١٩٦.

[4] الرحلة ص ١٩٦.

[5] الرحلة، ص ١٩٦.

وغير ذلك فهناك الكثير من الاقتباسات، والأشعار التي استخدمها "**ابن جبير**" في رحلته وذلك قصد تأكيد كلامه للقارئ .

كما استخدم في بعض الفقرات فنون البلاغة من سجع وطباق وتشبيه وجناس، فيقول مثلا في وصفه لمدينة "**مسينة***" إذ يقول :" **هذه المدينة موسم تجار الكفار، ومقصد جواري البحر من جميع الأقطار، كثيرة الإرفاق برخاء الأسفار، مظلمة الآفاق بالكفر، لا يقر فيها لمسلم قرار، مشحونة بعيدة الصلبان.**"[1]

أما عن الاستعارة والتشبيه نجده في قوله:" **فتقسمت مذائب وانسابت جداول تنبسط في مروج أخضر، فكأنها سبائك اللجين ممدودة في بساط الزبرجد**".[2] وقوله

ومن خلال ذلك نجد أن "**ابن جبير**" رحالة متميز ومتمكن من ناصية السرد، الذي يسعى إلى تشويق القارئ وإفادته .

٢/ القيمة الأدبية للرحلة:

القيمة الأدبية: تكمن القيمة الأدبية في رحلة "**ابن جبير**" في اختلاف الأساليب السردية والقصصية ، وتداخلها فيما بينها التي تحفز القارئ وتجعله يكتسب معارف جديدة مختلفة، إذ نجد في رحلة ابن جبير تنوع في المعارف والثقافات من خلال نقل ثقافات وعادات البلدان التي رحل إليها أو مر بها، دون تحريف فيها أو تعديل فكان يسجل كل كبيرة و صغير من وقت و تاريخ دخوله إلى أي بلد

[1] الرحلة، ص ٢٩٦.

[2] الرحلة، ص ٢١٧.

*مدينة مسينة: هي مدينة ايطالية في جزيرة صقالية، تقع في زاوية الشمالية الشرقية لجزيرة صقيلية.

٣/ النظام السردي في رحلة "ابن جبير":

إن الرحالة لا يمكنه أن يكتب دون مقدمات أو تخطيط، لأن الرحلة لا تكتب إلا بعد الانتهاء منها ،وذلك اعتماداً على الذاكرة والأفكار المخزنة بالإضافة إلى ورؤوس أقلام المشتتة،الذي يعود بها إلى الماضي .فهذا التخطيط موضوع من أجل الوصول إلى غاية معينة، لأنه يعتبر ضروريا لكل عمل سردي فيقول "**غريماس**" **GRIMAS** :" لاحظ أن السرد يكون مبنياً بصورة مسبقة حتى قبل تشكله، وهذا هو ما يسمي بالإطار الشكلي لجنس السرد. "[١]

فللرحلة أهداف وغاية يضعها الرحالة من أجل رحلته ، فيضع لها تصميم البناء ويسعى إلى إنجاز هذا التصميم وتجسيده على أرض الواقع، لأنها كغيرها من النصوص تحتاج إلى تصميم يناسب طبيعتها وهذا التصميم الذي يبينه الشكل أدناه، المتشكل على أعمدة أساسية وهي : العنوان والمقدمة والمتن وهو مضمون الرحلة والخاتمة

المخطط التالي يبين تصميم البناء الهيكلي للرحلة

[١] طاهر حسيني، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني . بناءها الفني وخصائصها . أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي ، إشراف العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح، ٢٠١٣. ٢٠١٤ ، ص ٩٦.

البناء الهيكلي للرحلة [1]

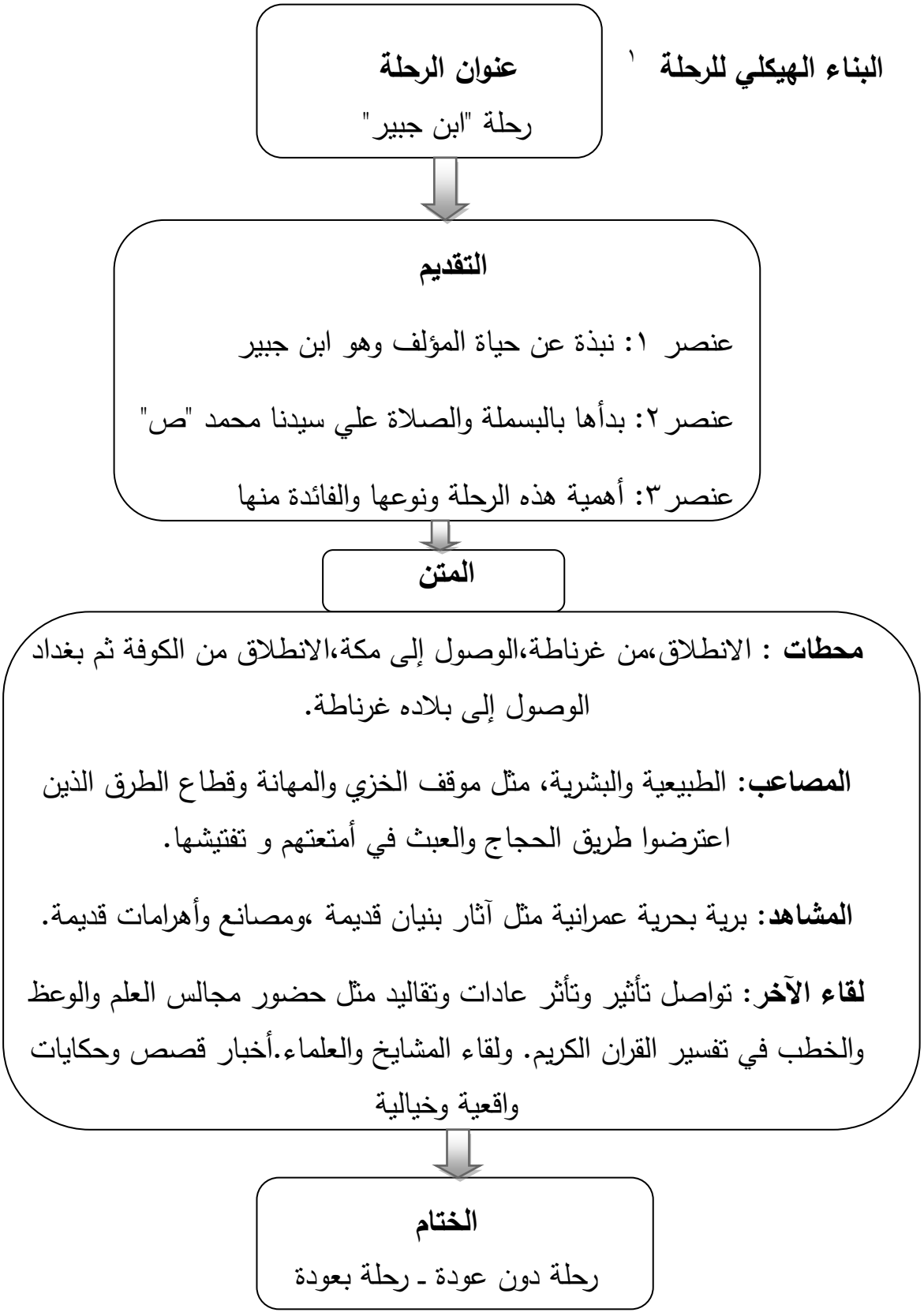

[1] ينظر: طاهر حسيني،الرحلة الجزائرية في العهد العثماني، ص ٩٦.

١/ الخطاطة السردية في الخطاب الرحلي:

تعد الرحلة خطاب مكتوب لأحداث واقعيه ونقل لمشاهدات من قبل شخصية حقيقية، حيث احتوت رحلة" **ابن جبير**" على محطات سردية مثل: الاستعداد للسفر وطريق الذهاب والإياب وأخيرا الوصول إلى المكان المقصود، إذ يمكن أن نضع تفاصيل إخبارية في كل المحطات السردية التي نتطرق إليها[١]:

سردية الانطلاق: وهو أن يستعد الرحالة للسفر، ويبين وجهته وزمن انطلاقه من موطنه.

انطلق "**ابن جبير**" من غرناطة في ٨ شوال سنة ٥٧٨هـ ٣ من فبراير سنة ١١٨٣م، وركب البحر في سفينة لبعض "**أهل جنوة**" ، قاصدا إلى الإسكندرية فيقول: " **كان انفصال أحمد بن حسان ومحمد بن جبير من غرناطة حرسها الله، للنية الحجازية المباركة ، .....كان الخروج منها أول ساعة من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال المذكور** "[٢]

سردية الذهاب: و في طريقه يسرد لنا الرحالة مشاهداته والأحداث التي تعرض إليها أثناء هذه الرحلة مع ذكر الزمان والمكان ، ونجد ذلك متوفرا في رحلة "**ابن جبير**" ،حيث أنه أسهب كثيرا في وصف وسرد الأحداث والمشاهد المختلفة في كل بلد مر بها أو زارها، فيقول: " **وقام علينا نوء هال له البحر صبيحة يوم الثلاثاء المذكور، فبقينا مترددين بسببه حول بر سردانية إلى يوم الأربعاء بعده**"[٣].

[١] ينظر: فاطمة بوطبسو ، أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، إشراف عبد الله حمادى، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠١٠. ٢٠١١ ص ٢٢

[٢] الرحلة، ص١.

[٣] الرحلة، ص ٣.

وقوله أيضا في وصف أهوال البحر: " **وفي ليلة الأربعاء بعدها من أولها عصفت علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوه كأنه شآبيب سهام. فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السائر**[1]" ، فكان يسرد كل ما تعرض إليه أثناء سفره، وما شاهده من أماكن وآثار تاريخية، وعادات وتقاليد مختلفة.

الوصول: وهنا يحدد الرحالة زمن وصوله إلى المكان المقصود، مع سرد مغامرات الرحلة .لقد وصل "**ابن جبير**" بعد معاناة ومشاق البحر الذي تعرض إليه ورصد كل تفاصيل الرحلة، حيث يقول:" **وفي صبيحة يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر المذكور أطلع الله علينا البشري بالسلامة بظهور منار الإسكندرية على نحو العشرين ميلا، والحمد لله على ذلك حمدا يقتضي المزيد من فضله وكريم صنعه.**"[2] وقوله أيضا في ذلك :" **وفي آخر الساعة الخامسة منه كان إرساؤنا بمرسى البلد، ونزولنا إثر ذلك، والله المستعان فيما بقي بمنه، فكانت إقامتنا على متن البحر ثلاثين يوما، ونزلنا في الحادية والثلاثين، لأن ركوبنا إياه كان يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر شوال، ونزلنا عنه في يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة،** ....."[3] فأدى الفريضة وزار المدينة، وظل في المدينة ستة أشهر ينهل من ينابيع النور الذي أشرق على العالمين منذ ولد محمد سيد الخلق أجمعين.

العودة:وهي أيضا يحدد فيها الرحالة زمن ومكان خروجه من ذلك البلد، متجها إلى بلده. بعدما أدى "**ابن جبير**" فريضة الحج ، وارتوى من علمهم، هاهو يستعد لمغادرة البلاد والعودة إلى وطنه .

[1] الرحلة، ص ٤.
[2] الرحلة، ص ٦.
[3] الرحلة، ص ٦.

الانطلاق: أن يستعد للعودة إلى موطنه الأصلي ،وتحديد زمن ومكان الانطلاق، فيقول "**ابن جبير**" في ذلك: " **فأقمنا بالزاهر ثلاثة أيام نجدد العهد كل يوم بالبيت العتيق، ونعيد وداعه. فلما كان ضحوة يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي الحجة المذكور، أقلعة المحلة على تؤدة ..... والله كفيل بالسلامة والعصمة بمنه**"[1]

سردية الإياب: كذلك يسرد لنا الرحالة مشاهدات ومغامرات طريق العودة بكل تفاصيلها.

بعد أن خرج "**ابن جبير**" من مكة، اتخذ طريق "**النجد**" إلى "**كوفة**"، ثم زار "**بغداد**" ثم "**الموصل**"، لم يكن يمر مرورا عابرا بهذه البلدان، بل كان يمكث لبعض الوقت يدرس ويتأمل ويتفحص ويسجل كل مشاهداته ومغامراته، ثم انتقل إلى "**الشام**" إذا قرر أن يعود عن طريق "**سوريا**"، فمضى عبر المستعمرات الصليبية، وأخيرا ركب البحر من "**عكا**" عائدا إلى بلاده على مركب مسيحي، وألمت المركب "**بصقلية**" فنزل بها وطاف ببلادها.

الوصول: تحديد مكان وزمن الوصول ووصف حالة الرحالة بعد السفر وطقوس الوصول من دعاء وملاقاة الأحباب.

وصل "**ابن جبير**" إلى بلاده "**غرناطة**" في ١٥ من محرم سنة ٥٨١هـ ـ ٢٥ من أفريل سنة ١١٨٥م، فيقول: " **.... ثم منها يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم، والخامس والعشرين لأبريل إلى المنزل بغرناطة.....فكانت مدة مقامنا من لدن**

[1] الرحلة، ص ١٥٥.

خروجنا من غرناطة إلى وقت إيابنا هذا عامين كاملين وثلاثة أشهر ونصفا، والحمد لله رب العالمين."[1]

٢/ التدوين الزمني والمكاني للرحلة:

يعتبر المكان والزمان من التقنيات السردية المهمة، التي لا يمكن الاستغناء عنهما، في أي عمل أدبي، فمن خلالهما تجرى الأحداث وفق تسلسل زمني ومكاني، إذ أن الرحلة لا تنفصل عن عنصرين مهمين من المكونات السردية وهي الزمن والمكان.

أ/ التدوين الزمني في رحلة "ابن جبير":

إن الزمن عنصر من العناصر المهمة في النص الرحلى، إذ لا يخلو أي عمل أدبي من الزمن، لأنه يعتبر الخيط الذي يربط بين الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبل، فنجد في بداية العمل سردي لحظة زمنية كما أن لنهايتها أيضا لحظة زمنية[2]، لأنه يساعد على تنظيم الأحداث وترتيبها في الإطار الذي يضفي عليها الواقعية، ويكسبها الصدق، وتساعد أيضا في رصد جوانب حياة الناس اليومية خلال فترة زمنية معينة، فتقول "**يمنى العيد**" في ذلك : "الشئ الذي نقص عنه زمنه ، لكن لفعل القص نفسه زمنه ؟ أي زمن القص."[3]

حيث نلاحظ في رحلة "**ابن جبير**" أنه اعتمد على التدوين الزمني، واهتم بالتتابع الزمني منذ لحظة خروجه حتى عودته، فكلما زار بلد أو مر بها، ذكر التاريخ باليوم والشهر والسنة بكل دقة وتفصيل، مع ذكر الوقت إذ كان صبحا أو ظهرا أو مغربا،

[1] الرحلة، ص ٣٢٢.

[2] ينظر: أحمد حاجي، أدب الرحلة والمثاقفة، رحلة القلصادى انموذج ، الملتقي العلمي العالمي التاسع للغة العربية ومؤتمر الخامس اتحاد مدرسي للغة العربية بأندونيسيا، (د ت)، ص ١٠١٦.

[3] يمني العيد، تقنيات السرد الروائي، ط١، بيروت، دار الفارابي، ص ٧٢.

فيقول في بداية رحلته: " **ابتدئ بتقييدها يوم الجمعة الموفي ثلاثين لشهر شوال، ثمان وسبعين وخمس مائة، على متن البحر بمقابلة جبل شلير** "[1] وقوله أيضا: " **وفي يوم الجمعة السادس عشر منه خرجت قافلة كبيرة من الحجاج.....وفي جمادي الثانية قبله كانت أيضا زيارة أخرى لبعض الحجاج في قافلة .....وفي التاسع عشر من شعبان كان انصراف هذه القافلة الكبيرة في كنف السلامة.**" [2]

كذلك في السياق نفسه يستمر في تدوين التاريخ إذ يقول: " **وفي ضحوة يوم السبت الثامن لمحرم المذكور، والحادي والعشرين من شهر أبريل، كان رحيلنا من المدينة المكرمة إلى العراق.**"[3] ويقول أيضا:" **وأقمنا بها يوم الأحد المذكور ويوم الاثنين بعده، وهو الثاني ليوليو إلى أول الظهر، ورحلنا منها وتمادينا إلى العشي ..... وتمادى سيرنا إلى الضحى الأعلى من يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من الشهر المذكور.**"[4] من خلال الجدول التالي يمكن أن نستخرج بعض الزمن الموجود في الرحلة :

رحلة الذهاب	التاريخ	الصفحة	رحلة الإياب	التاريخ	الصفحة
غرناطة	٨ شوال ١٣ فبراير ١٥٧٨	١	الكوفة	٢١ محرم/ ٤ مايو	١٨١
قصر مصمودة	ظهر يوم الثلاثاء	٢	زبالة	٢٣ محرم	١٨٣

[1] الرحلة، ص ١.

[2] الرحلة ،ص ١٠٧.

[3] الرحلة، ص ١٧٧.

[4] الرحلة ،ص ٢٣١.

	٢٧فبراير				
الإسكندرية	٢٨ فبراير	٢	بلورة	٢٦ محرم	١٨٢
الخروج من سردانية	١٨ ذي قعده ٥ مارس	٤	قرية الفراش	ثلاثاء ٢ صفر	١٨٨
دمنهور	صبيحة الأحد ٨ ذي حجة ٣ أفريل	١١	بغداد	قبيل الظهر من يوم الأربعاء	١٩٠
مصر	٢٦ أفريل /٧٩هـ	٢٥	الموصل	١٥ صفر/ ٢٨ مايو	٢٠٣
الخروج من مصر	١٤ محرم/ ٩ أفريل	٢٧	قرية الحربة	١٦ صفر	٢٠٤
قوص	٢٤ محرم /١٩ مايو	٣٤	شط دجلة	١٨ صفر	٢٠٤
العبور إلى جدة	٢٥ ربيع الأول/١٨ يوليو	٤٣	مدينة تكريت	١٩ صفر/ ١ يونيه	٢٠٥
الحرم المقدس	٢١ سبتمبر/ شهر جمادى	٩٤	قيارة	٢٢ صفر/ ٤ يونيه	٢٠٦
الصعود إلى منى	١٩ هـ/ ٣ فبراير	١٢٩	مدينة نصيبين	ربيع الأول /١٢ يونيه	٢١١

محلة	٢٠ ذي حجة / ١ أفريل	١٥٥	تل عبدة	ليلة الأربعاء ٩ ربيع الأول	٢٢١
عسفان	٢٤ ذي حجة	١٥٧	مدينة منبج	١١ ربيع/ ٢٢ يونيه	٢٢٢
من بدر إلى الصفراء	١٤أفريل/ ١٥٨هـ	١٦١	مدينة حلب	١٣ ربيع الأول ٢٤ يونيه	٢٢٣
العراق	٨ محرم /٢١ ابريل	١٧٧	دمشق	١١ يوليه	٢٣٣
الثعلبية	٢٠ محرم/ ٣ مايو	١٨١	عكا	٥ جمادى/ ١٣ سبتمبر	٢٧٢
			مدينة مسينة	٣ رمضان	٢٩٥
			أطرابنش	٤ فبراير	٣١٥
			جزيرة سردانية	٢٧ ذي حجة	٣٢٠
			غرناطة	الخميس ٢٢ محرم/ ٢٥ أفريل	٣٢٢

من خلال هذا الجدول وتتبعنا لرحلة "**ابن جبير**"، نجد أنه كان يسجل تاريخ دخوله إلى أية مدينة، وتاريخ خروجه منها باليوم والشهر والوقت، كما كان يسجل بعض التواريخ المتعلقة بعادات والاحتفالات التي كانوا يقومون بها مثل قوله:" **وفي ليلة الثلاثاء السابع والعشرين منه، أعنى رجب ظهر لأهل مكة أيضا احتفال عظيم**

في الخروج إلى العمرة لم يقصر عن الاحتفال الأول.....[1] وهذه الاحتفالات كان يقوم بها أهل "**مكة**" وهذا الاحتفال يسمونه بعمرة الأكمة، ونجد أيضا قوله: " **وفي ضحوة يوم الأربعاء الثالث من الشهر المبارك المذكور، كنا جلوسا بالحجر المكرم فسمعنا دبادب الأمير مكثر وأصوات نساء مكة يولولن عليه .....**" [2] وهذا ما يجعل هذه الرحلة وثيقة تاريخية مرتبطة بزمن معين كما يضفي عليها الواقعية ويكسبها الصدق، وأن هذه الرحلة موجودة فعلا وقام بها صاحبها في فترة معينة، فالزمن يعتبر خاصية من الخصائص التي تميز بها الرحلة عن غيره من الأعمال السردية الأخرى.

ب/ التدوين المكاني في رحلة ابن جبير:

تتميز رحلة "**ابن جبير**" بوفرة الأمكنة المتنوعة، التي شكلت دورا بارزا مهما، في التعرف على الأماكن الجديدة، ومن هذه الأماكن نجد:

١/ أمكنة المجتمعات السكنية: مثل المدينة، القرية، والجزيرة، والقلعة، والحصن حيث يقول في مدينة "**دنيصر**": " **هي في بسيط من الأرض فسيح، وحولها بساتين الرياحين والخضر، تسقي بالسواقي، وهي مائلة الطبع إلى البادية، ولا سور لها ....**"[3] ووصفه أيضا لقرية برمة فيقول:" **واتصل سيرنا إلى موضع يعرف ببرمة فكان مبيتنا بها، وهي قرية كبيرة فيها السوق وجميع المرافق.** "[4]

أما عن الجزيرة فوصفها بقوله: " **وفي صبيحة يوم الجمعة السابع من الشهر المذكور آنفا قابلنا بر جزيرة يابسة ثم يوم السبت بعده قابلنا بر جزيرة**

[1] الرحلة، ص ١٠٧.
[2] الرحلة، ص ١١٧.
[3] الرحلة، ص ٢١٤.
[4] الرحلة، ص ١١.

ميورقة.....و فارقنا بر هذه الجزيرة المذكورة وقام معنا بر جزيرة سردانية أول ليلة ثلاثاء ..."[1]

٢/ أمكنة السكن الكبرى والصغرى: مثل الفندق والبيت والحجرة، حيث يقول في وصف البيت: " ... **ويدخل منه إلى بيت كبير سعته نحو خمسين شبرا .....**"[2] ويذكر مقامه في صقلية بأحد الفنادق فيقول: " **فكان نزولنا في أحد الفنادق وأقمنا بها تسعة أيام**" [3] .

٣/ **مؤسسات عامة** : المساجد، والمدارس، والأسواق، والحمامات، الكنائس.

فيصف المساجد:" **و في أعلاه مسجد موصوف بالبركة يتبرك الناس بالصلاة فيه**".[4] كما أنه يذكر الأسواق ويصفها بقوله: " **فيه الأسواق وسائر ما يحتاجه إليه من مرافق.... وقمحها يجلب إلى مصر لطيبه ورزانة حبته.....**"[5]

أما بالنسبة إلى المدارس فيقول في ذلك: " **والمدارس بها نحو ثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها، ..... ولهذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد.**"[6]

ويقول أيضا في الحمامات: " **وأما حماماتها فلا تحصي عدها، وذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام، ..... وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم.** "[1]

---

[1] الرحلة، ص ٢.
[2] الرحلة، ص ٢٢.
[3] الرحلة، ص ٣٠٢.
[4] الرحلة، ص ٩.
[5] الرحلة، ص ٢٩.
[6] الرحلة، ص ٢٠٢.

٤/ أمكنة تاريخية: المقابر، المنابر، الأهرامات، الآبار، المغارات، الهياكل. فنجد هذه الأماكن التاريخية متوفرة بشكل جلي في هذه الرحلة فيقول مثلا في وصف الأهرامات: " **وعلى مقربة من هذه الأهرام بمقدار غلوة صورة غريبة من حجر .....وجهه إلى الأهرام وظهره إلى القبلة مهبط النيل، تعرف بابى الأهوال**"[٢] وقوله أيضا في وصف الهياكل: " **ومن أعظم الهياكل المحدث بغرائبها في الدنيا هيكل عظيم في شرقي المدينة المذكورة ....**"[٣] ونجد أيضا ذكره لمدافن الأنبياء الصالحين فيقول: " **وخارج هذه البلد الجبانة العتيقة، وهي مدفن الأنبياء والصالحين وبركتها شهيرة، وفي طرفها مما يلي البساتين وهدة من الأرض متصلة بالجبانة، وذكر أنه مدفن سبعين نبيا.**"[٤]

٥/مسارات وطرق: الزقاق، القنطرة، الدهاليز، فيقول في وصف القنطرة: " **ومن مفاخر هذا السلطان وآثاره الباقية المنفعة للمسلمين القناطر التي شرع في بناءها بغرب مصر**"[٥] ووصفه لدهاليز أيضا: " **وللشرقي والغربي والشمالي أيضا من هذه الأبواب دهاليز متسعة، يفضي كل دهاليز منها إلى باب عظيم، كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها، وأعظمها منظرا الدهاليز المتصل بباب جيرون.**"[٦]

---

[١] الرحلة، ص ٢٠٠.
[٢] الرحلة، ص ٢٢.
[٣] الرحلة، ص ٢٩.
[٤] الرحلة، ص ٢٤٦.
[٥] الرحلة، ص ٢١.
[٦] الرحلة، ص ٢٤١.

٦/أمكنة طبيعية: البحر، الجبال، النهر، الصحراء. حيث يصف "**ابن جبير**" أهوال البحر في رحلته فيقول: " **عصفت علينا ريح هال لها البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه شبابيب سهام** "[١]

لقد كان "**ابن جبير**" دور فعال في إبراز جمالية المكان من خلال استعمال أسلوبه في وصف الأماكن المختلفة وذلك بتفاعله مع حركة الزمن، حيث وصف الرحلة وفق تسلسل الأحداث الزمنية والمكانية، فالمكان هو الخلفية التي تقع فيها الأحداث الرحلة وفق زمن معين، فهم يتفاعلان مع بعضهما البعض في نسيج العمل الأدبي .

الخلاصة: رحلة ابن جبير رحلة دينية قام بها صاحبها من أجل تأدية الحج، إذ كتبها بأسلوب وإبداع أدبي خاص فجعلها على شكل مذكرات يومية، فكان يسجل كل ملاحظاته أثناء ذهابه وعودته مع ذكر المكان و زمن مروره أو توقفه في مكان ما، كما سرد لنا عادات وتقاليد البلدان المختلفة.

[١] الرحلة، ص ٤.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة والتحليل في رحلة "**ابن جبير**"، أصل في النهاية إلى أهم النتائج وهي :

- إن رحلة "**ابن جبير**" رحلة واقعية منبثقة من الواقع ، حيث أن هذه الخاصية هي أهم ما يميز أدب الرحلة عن غيره من الأنواع الأدبية الأخرى.
- رحلة "**ابن جبير**" هي عبارة عن فن من الفنون السردية التي تعتمد على القص، حيث قام بالرحلة بنفسه، وخاض غمار الرحلة وعاش مخاطرها وأهوالها.
- المقصد الأساسي لرحلة "**ابن جبير**" هو مقصد ديني لأداء فريضة الحج، بالإضافة إلى الاطلاع على الثقافات المختلفة، وحب المعرفة بزيارة بعض الأماكن الأخرى.
- كتبت رحلة "**ابن جبير**" بشكل مذكرات يومية، في أوراق منفصلة كتبها أثناء رحلته، فهي أشبه بأن تكون مذكرات شخصية .
- لقد صاغ لنا "**ابن جبير**" رحلته بأسلوب سلس، ولغة سهلة بسيطة مشوقة تتسم بحسن السرد، ودقة الوصف، وروعة التصوير، وخفة السجع، التي من خلالها اكسبها السمة الأدبية والقيمة الفنية.
- اعتمد "**ابن جبير**" في رحلته على ضمير الجمع، كونه شخصية اجتماعية مميزة نابعة من رحم المجتمع.
- تعتبر رحلة "**ابن جبير**" خطاب أدبي إبداعي، صور فيها كل ما وقع له من أحداث مختلفة، وما صدفه من أشياء أثناء رحلته المألوفة وغير المألوفة.
- انحصرت الثقافة في رحلة "**ابن جبير**"، في المعرفة الدينية وذلك من خلال ذكر الفقهاء والوعاظ واللقاء بهم وأخذ العلم منهم، مما أكسب هذه الرحلة الطابع الديني.

- لقد اعتمد "**ابن جبير**" على النظام السردي في رحلته، حيث احتوت هذه الرحلة على محطات سردية مختلفة وهي الاستعداد للسفر ثم طريق الذهاب ثم الإياب وأخيرا الوصول إلى المكان المقصود، ووصف كل هذه المحطات وصفاً دقيقاً.
- تعتبر تقنية الوصف الذي اعتمدها "**ابن جبير**" ميزة من مميزات الخطاب الرحلي التي تتفرد بها عن باقي الخطابات الأخرى، كونها تصور الواقع الحقيقي.
- كان "**ابن جبير**" دقيقاً في ملاحظته فيما احتوته رحلته من مادة غنية عن التجارة، وإجراءات الجمارك والضرائب، وأحوال البحر وعن أنواع السفن وطريقة صيانتها.
- اعتمد "**ابن جبير**" على وصف المدن والطرق والعمران والبلدان، وأخبار الناس وعادتهم والحوادث الغريبة، التي من خلالها تشكل أدباً ثرياً واكتساب ثقافات الغير.
- وظف "**ابن جبير**" في رحلته مجموعة من الأشعار المختلفة، نظراً لمكانة الشعر وتأثيره في نفس القارئ.
- تتميز رحلة "**ابن جبير**" بسمات وخصائص فنية، يلتزم بها الرحالة من خلال الشكل وطرق التدوين.
- معظم الرحالة يلتزمون في كتابة رحلاتهم بمحاور البناء الفني الأساسية وهي ، المقدمة والعرض والخاتمة، حيث نجد ذلك جلياً في رحلة "**ابن جبير**"، فبدأ مقدمته بحمد الله والثناء عليه، وفي العرض اعتمد على الوصف والسرد كل ما صادفه، ثم ختم بالحمد والصلاة على محمد واله وصحبه وحدد الزمن الذي استغرقته الرحلة .
- اعتمد "**ابن جبير**" على السرد المشوق، والاقتباس من القرآن الكريم.
- استخدم مجموعة من الفنون البلاغية منها الوصف والطباق والسجع والتشبيه والاستعارات المختلفة، كونه رحالة متميز ومتمكن من السرد.

- تحتوى الرحلة على قيمة معرفية مهمة ومتنوعة، إذ تمثل الجزء الأساسي من التاريخ الاجتماعي للشعوب، كونها موسوعة معلومات ومعارف إنسانية يستقى منه الكثير من الباحثين معلوماتهم.
- وضع ابن جبير في رحلته نظام سردي، يتكون من عنوان الرحلة، ثم التقديم، ثم المتن وهي المحطات التي مر بها أو توقف عندها، وأخيرا الخاتمة.
- لقد اهتم "**ابن جبير**" بالتتابع الزمني، في رحلته منذ لحظة خروجه حتى عودته، حيث اعتمد على التاريخ الهجري والميلادي في كل محطة يقف عندها أو بلد مر به، مع ذكر اليوم، وذلك لأن الزمن يعتبر من أهم العناصر التي تساعد في تنظيم وضبط أحداث الرحلة، كما يضفي عليها الصدق والواقعية.
- نجد في رحلة "**ابن جبير**" وفرة الأمكنة المتنوعة، التي تجري فيها الأحداث المختلفة.
- لقد ساهم "**ابن جبير**" في التعرف على الأماكن الجديدة ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم.
- ساهمت رحلة "**ابن جبير**" في توضيح مناسك الحج لمعاصريه، وبيان المسالك التي ينبغي عليهم إتباعها للقيام بهذه الفريضة.

باختصار هذا ما حاول البحث أن يقوله عن أهمية أدب الرحلات، وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون قد حالفني التوفيق في إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها، محققة بذلك الهدف المرجو من هذا البحث، فإن أصبت فبتوفيق من الله وإن أخطأت فمن نفسي، أسأل الله أن يوفقني إلى الرأي السديد ويلهمني الخير والرشاد. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

المصادر:

١. ابن جبير، رحلة ابن جبير، سلسلة الأنيس للطباعة النشر، ط١، ٢٠١٠.

المراجع:

١. **أحمد الهاشمي**، جواهر البلاغة، دار الفكر، بيروت، ط١-٢، ١٩٧٨.
٢. **ابن خلدون عبد الرحمن**، مقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، خزانة بن خلدون بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥.
٣. **حسين نصار**، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط١، ١٩٩١.
٤. **حسني محمود حسين**، أدب الرحلات عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
٥. **شوقي ضيف**، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط ٤.
٦. **صلاح الدين علي الشامي**، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الإسكندرية ط،١ ١٩٨٩.
٧. **على إبراهيم الكردي**، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣.
٨. **عماد الدين خليل**، من أدب الرحلات، دار الكثير، ط١، ٢٠٠٥.
٩. **فؤاد قنديل**، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١٢، ٢٠٠٢.

١٠. **نصر عبد الرزاق الموافي**، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية–مكتبة الوفاء، ط ١.

١١. **نوال عبد الرحمان شوابكة**، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية–حتى نهاية القرن التاسع هجري–، دار المأمون نشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٨.

١٢. **يمني العيد**، تقنيات السرد الروائي، دار الفرابي، بيروت ، ط ١.

الرسائل الجامعية:

١. **جميلة روباش**، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، إشراف أمحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٤–٢٠١٥.

٢. **دميش دليلة**، أدب الرحلات ودوره في تواصل بين الحضارات، مذكرة لنيل شهادة ماستر، إشراف بغداد عبد الرحمان، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان– ٢٠١٦./٢٠٠٥

٣. **سميرة أنساعد**، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف الشريف مريبعي جامعة الجزائر، ٢٠٠٧/٢٠٠٦ .

٤. **طاهر حسيني**، الرحلة الجزائرية في العهد العثماني،"بناءها الفني أنواعها وخصائصها، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، إشراف: العيد جلولي، جامعة ورقلة، ٢٠١٤/٢٠١٣

٥. **عبد الله عثمان**، أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من ق ٦ حتى سقوط غرناطة، المشرف محمود حسين زيني، جامعة أم القرى، ٢٠٠١.

٦. **عواطف محمد يوسف نواب**، الرحلات المغاربة والأندلسية مصدر من مصادر التاريخ في القرنيين ٧و٨ هـ –دراسة تحليلية نقدية مقارنة –، إشراف فواز بن على بن جنيدب الدهاس، دراسة مقدمة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الإسلامي –مخطوطة– جامعة أم القرى، ١٩٩١.

٧. **فاطمة بوطبسو**، أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، إشراف عبد الله حمادي، جامعة منتورى قسنطينة، ٢٠١٠/٢٠١١ .

المعاجم:

١. **الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي**، مختار الصحاح، مادة ر ح ل، ط١ مكتبة العصرية للطباعة والنشر، باب الراء(رجا) .
٢. **معجم الوسيط** ط٤، مكتبة الشروق الدولية،٢٠٠٤
٣. **ابن منظور**: لسان العرب، مادة رحل، دار الصادرة لنشر و الطباعة بيروت، ط٣، ٢٠١٠.

المجلات والدوريات:

١. **احمد حاجي**، أدب الرحلة والمثاقفة، رحلة القلصادي انموذج، قسم الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، الملتقي العلمي التاسع للغة العربية ومؤتمر الخامس اتحاد مدرسي اللغة العربية باندونيسيا .
٢. **حسين محمد فهيم**، أدب الرحلات، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، علم المعرفة،العدد١٣٨ ،كويت، ١٩٧٨.
٣. **محمد المنوني** ، مقالة في مجلة المناهل المغربية –الرحلات المغربية الحجازية– العدد٥١٨، مجلد ٥٦، المغرب، اغسطس١٩٩٤

المواقع الالكترونية:

١. موقع منتديات مرمريتا marmrita. Com الالكتروني،
WWW.Marmarita.Com/vb/showthreedK أدب الرحلة والرحالة في التراث العربي

فهرس الموضوعات

العـــــــــــــــــــــــــــــــــنوان	الصفحة
دعاء	
كلمة شكر وعرفان	
مقدمة	أ- هـ
تمهيد	٠٧
الفصل الأول: تيمات الخطاب الرحلي.	١٠
تعريف الرحلة لغةً	١١
تعريف الرحلة اصطلاحاً	١٢
أهم أنواع الرحلة	١٣
خصائص الكتابة الرحلية	١٥
دوافع وأسباب الترحال المختلفة	٢٠
مكونات الخطاب الرحلي	٢٢
عناصر الخطاب الرحلي	٢٤
الفصل الثاني: الدراسة الفنية للرحلة	٢٩
البناء الفني للرحلة من حيث الشكل	٣٠

البناء الفني للرحلة من حيث المضمون	٣٢
القيمة الأدبية والعلمية للرحلة ابن جبير	٣٥
النظام السردي في رحلة ابن جبير	٣٦
البناء الهيكلي للرحلة	٣٧
الخطاطة السردية في الخطاب الرحلي	٣٨
التدوين الزمني في رحلة ابن جبير	٤١
التدوين المكاني في رحلة ابن جبير	٤٥
الخاتمة.	٥٠
قائمة المصادر والمراجع.	٥٥
الفهرس.	٦٠
الملخص	٦٢

الملخص:

تعتبر رحلة ابن جبير من الرحلات الدينية، الذي سافر صاحبها من أجل تأدية الحج وتكفير عن ذنوبه، حيث نجده في هذه الرحلة أنه وصف مناسك الحج بكل خطواتها وتفاصيلها الدقيقة، فأصبحت وثيقة مهمة لتوضيح مناسك الحج و إتباع هذا البيان لكل من يرغب في أداء هذا الركن الديني المقدس. فحاولت دراسة رحله ابن جبير دراسة سردية،وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية الأساسية وهي:

- ماهو النظام السردي الذي اتبعه ابن جبير في رحلته؟

توصلت في النهاية إلى نتائج أهمها: أنه اعتمد على النظام السردي مختلف في رحلته، إذ احتوت هذه الرحلة على محطات سردية مختلفة وهي الاستعداد للسفر أولا ثم طريق الذهاب ثم الإياب وأخيرا الوصول إلى المكان المقصود، مع وصف كل هذه المحطات وصفاً دقيقاً. ونجده أيضا أنه وضع في رحلته نظام سردي، يتكون من عنوان الرحلة، ثم التقديم، ثم المتن وهي المحطات التي مر بها أو توقف عندها، وأخيرا الخاتمة.

الكلمة المفتاحية: الرحلة، ابن جبير، السرد، تقنيات.

Resume

Ibn Jubayrs Journey is considered as one of the religious journeys of which the owner traveled to perform the expiation of his sins. In this journey We find the description of Hajj rituals in all its steps and precise details. We tried to study the journey of Ibn jubair a narrative study through an answer to the basic problem: What is the narrative system that Ibn jubair followed in his journey? Finally, We reached the conclusion of the most Important results: It is based on the narrative system in the different journey, this trip contains different narrative stations, namely the readiness to travel first and then the way to go and then return and finally reach the place of destination, describing all these stations accurately, A narrative system consisting of the address of the journey and the presentation of the text and the stations through which it passed or stopped was placed on its journey and finally the conclusion was drawn.

Keywords: Journey, Ibn jubair, Narrative Techniques.